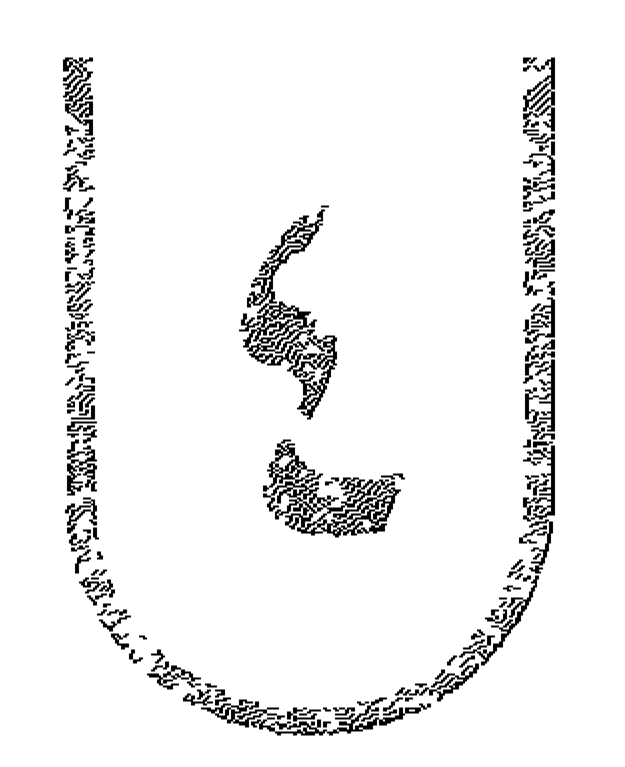
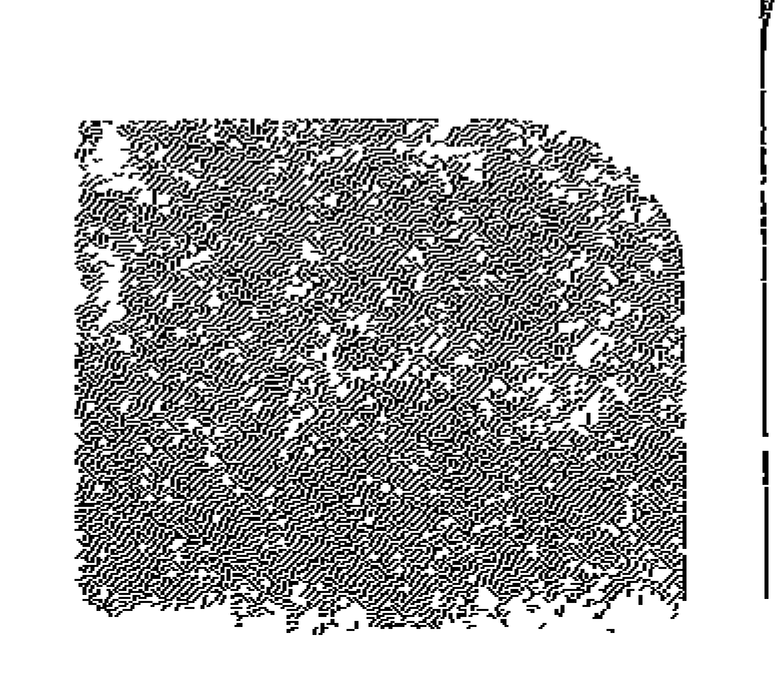


السيرة النبوية في قصص

على مائدة بحيرا



دار ومكتبة الهلال

على مائدة بحيرا

تبشير الديانات به « صلى الله عليه وسلم »

بيروت - بئر العبد - شارع مكرزل بناية برج الضاحية
مكتبة دار الهلال تلفون ٨٣٦٩٨١ - ٤٦٣٥٥٧
ص.ب ٥٠٠٣/١٥ برقياً مكتهلال

السيرة النبوية في قصص

٤

على مائدة بحيرا

تبشير الديانات به «صلى الله عليه وسلم»

تأليف

سيف الدين الكاتب

منشورات

دار ومكتبة الهلال

بيروت

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وإذ قال عيسىٰ بنُ مريمَ: يا بني إسرائيلَ إني رسولُ الله إليكُم مُصدِّقاً لما بينَ يديَّ من التوراةِ ومبشِّراً برسولٍ يأتي من بعدي اسمُه أحمدُ.. ﴾

صدق الله العظيم

- ١ -

أحبائي براعمَ الإسلام !..

إنها (يثرب)...

أرض النخيلِ والبساتينِ والمياهِ العذبة..

إنها (يثرب).. الحلمُ الجميلُ الذي كان يراودُ نفسَ كلِّ طفلٍ عربي.. ولا عجب!.. فقد كانت يثرب يومذاكَ.. واحدةً من أجمل بلادِ العرب.. ومن أكبرِ عواصمِها التجاريةِ العريقة...

وأخيراً ها هو ذا محمدٌ في (يثرب).. في زيارةٍ لأخواله من (بني عدي)... بصحبةِ أمِّهِ السيدةِ (آمنة).. وحاضنتهِ بركةَ الحبشيةِ (أم أيمن)..

وإذا كانت زيارةُ (يثربَ) حلُماً جميلاً يراودُ نفوسَ الأطفالِ.. فقد كُتِبَ على محمدٍ صلى الله عليه وسلم أن لا يستغرقَ في هذا الحلُمِ الجميل..

فإنهُ أمضى شهراً في ربوعِها وبين مغانيها.. يعدو ويلعبُ مع أولادِ أخوالهِ.. لكنه لم يكن يعلمُ أنه سيودِّع في يثربَ كلَّ أحلامِ الطفولةِ السعيدةِ.. ليستقبلَ أياماً عصيبةً تعمّقُ في نفسهِ معنى اليتمِ.. بكم مرارتهِ لأول مرة..

ففي هذه الرحلةِ. . رأى محمدٌ قبرَ أبيه . . ولا شكَّ أنه بكى حين رأى أمه تبكي عند هذا القبر. . ولعل هذه أوَّلُ مرةٍ أحسَّ فيها لَذْعَ الحزنِ في فؤادِهِ. . ولعلها أول مرةٍ عرفَ فيها محمدٌ (ﷺ) معنى اليتم. . .

ثم رجعت بهِ أمهُ عائدةً إلى مكةَ. . وهنالك ودَّعها محمدٌ صلى الله عليه وسلم . . الوداعَ الأخيرَ. . حيثُ توفيت آمنةُ وهي في طريقها إلى مكةَ. . عند قريةٍ تسمّى (الأبواء). . ودُفنت هناك . . ورجعَ محمدٌ كسيرَ الفؤادِ بصحبةِ حاضنتهِ الطيبةِ (بركة). . .

إن هذا الحادثَ الأليمَ ترك في نفسِ محمدٍ أعمقَ الأثرِ. . فإنها أمه الحبيبةُ. . التي لم يكن

له سواها بعد فقدِ أبيه . . والتي كانت تنحو عليه وتمنحه الحبَّ والحنـانَ . . فكان يجـدُ في ظلِّها بردَ السكينةِ والطمأنينةِ . . ويبثُّها شكواهُ فتتجاوبُ مع إحساسهِ المرهف . . وتبدِّدُ أحزانَهُ وهمومه ! . . . ثمَّ ها هي ذي ترحلُ عنهُ لتتركَهُ وحيداً في هذه الحياة . . .

ولكنها الأقدارُ يا أحبائي . . كانت تصنعُ محمّداً على عينِ الله . . وفي حمايته ورعايته . . وفي ظـلالِ رحمتِهِ التي وسعت كـلَّ شيء . . وكأنما كانت تلك الأحداثُ الجسام التي ألمت بفؤاد هذا الطفلِ العظيم . . توطّنهُ وتهيء نفسَهُ الشفـافةَ ليـومٍ تفيضُ فيه رحمـةً وحنانـاً على الفقراءِ والبؤساءِ والمساكين . .

. . ورجع محمدٌ إلى مكةَ يتيمَ الأبوينِ . .

وهو طفلٌ لم يجاوز السادسة من عمره . . ولم يكن له مال موروثٌ يستطيعٌ أن يعيشَ منه . . فكل ما تركَ له أبوهُ: خمسةٌ جمالٍ . . وبعضُ أغنامٍ . . وكانت عنده جاريته (بركة) . . فورثها محمدٌ عن أبيهِ . . وبعد موت أمه آمنه . . كانت (بركةُ) حاضنتَهُ التي تقومُ على رعايتهِ وتربيتهِ وخدمتهِ . . وقد عطفَ الله قلبَها على محمدٍ . . فأحبَّتْهُ حباً جماً . . ومنحته من عطفِها وحنانِها وعنايتها ما عوضه عن فقد أمهِ الحبيبة آمنة . .

وكفِلَهُ جدُّهُ (عبدُ المطلب) . . فكان له أباً مكانَ أبيه . . وكان سيدَ قريشٍ يومذاك . . على أن قريشاً كانت لها تقاليدُ صارمةٌ في تربيةِ الأولادِ . . وأخذِهم منذ الطفولةِ باحترام آبائِهمْ

وهيبتهِمْ . . والوقوفِ معهم على حدودِ الأدبِ والوقار . . فلم يكن الولدُ يستطيعُ أن يجالسَ أباهُ . . أو يغشى مجالسَ الرجال . . حتى يبلغَ سنَّ الرجولة . .

وكان عبدُ المطلب يتخذُ له مجلساً بجوار الكعبةِ . . يجتمع إليه رجالُ قريشٍ . . فيجلسُ هو على فراشٍ خاصّ مُعَدٍّ له . . ويجلسُ الرجال من حولهِ . . ولم يكن أحدٌ من أبناء عبد المطلب يجلسُ معه على ذلك الفراشِ أدباً واحتراماً . . لكنَّ ذلك كان مسموحاً لمحمدٍ وحده . . إذ كان يغشى مجلسَ جدّه . . ويقعد على فراشهِ بجواره . . فإذا تقدم إليه أعمامُهُ ليؤخروه عن فراشِ جدّه . . نهاهم عبدُ المطلبِ . . وقال لهم : دعوا ابني . . دعوا

ابني . . . ثم يُـدنيـهِ منـه . . ويمسـحُ ظهـرَهُ بيدهِ . . ويفيضُ عليه عاطفةَ البنوَّةِ والحب. . ولا عجب. . فقد طالما كان أبوه (عبد الله) أحبَّ أولاده إلى قلبه . . وأقربَهُمْ من نفسهِ . . وآثَرهم عنده. . .

ومما كان يزيدُ عبدَ المطلب تعلّقاً بمحمدٍ وحرصاً عليه . . ما كان يبدو عليه من آيات السموِّ . . فقد كان صلى الله عليه وسلم . . مثلاً يلفتُ الأنظارَ في كمالِ أدبهِ. .وفي السموِّ خلُقـه . . وفي عـزوف نفسـه عن اللهـو والعبثِ. . وفي تنزّههِ عن التدنّي فيما يتدنَّى إليهِ الأطفالُ. . من التهافتِ على الطعامِ والشرابِ. . أو التطلّع إلى ما يجلبه الآباءُ والأمهات. .

نعم .. كان محمدٌ في ذلك موضعَ العجبِ والاهتمام من كلِّ من يراه .. فما كان إلا طفلاً يتيماً .. قد نشأ في مجتمعٍ غلبت عليهِ الجهالةُ .. وفشا فيهِ الضلالُ والشركُ وعبادةُ الأصنام .. وأسرفَ في المتع والملذات .. فكان من الطبيعي أن ينشأ كما ينشأ كل طفلٍ مهملٍ .. بعد فقد الأبِ الذي يُعنى بتأديبه وتهذيبهِ .. والأمّ التي تُعنى بتعليمه وتدريبه وتوجيهه ...

ولكن الله عزَّ وجلَّ .. أراد لمحمدٍ هذا اليُتمَ المبكِّرَ .. ليكونَ هو ـ تعالتْ حكمتُهُ ـ الذي يحوطُهُ بعنايتهِ .. ويكلؤهُ بحمايتهِ .. ويكملهُ بما يرضى له من الأخلاقِ والآدابِ .. وليُسبِغَ عليه من آياتِ فضلهِ ما يجعلُهُ آيةً

للناس.. ونموذجاً حياً للإنسانِ الكامل..
الذي أدَّبَهُ ربُّه فأحسنَ تأديبَهُ.. وصنَعَهُ فأتقنَ
صُنعَهُ.. وأعدَّهُ لما أرادَ به من الكرامةِ..
« والله أعلمُ حيثُ يجعلُ رسالتَهُ »...

في مجلسٍ ضمَّ عبدَ المطلب.. وبعضَ
رجالٍ من قبيلة (مُدلج).. جعلَ هؤلاءِ
الرجالُ يتفرّسونَ في محمدٍ.. هذا الطفلِ الذي
يجلسُ على فراشِ سيدِ قريشٍ.. ولفت نظرَ
أحدِهمْ أنَّ قدمَ رسولِ الله صلى الله عليه
وسلم قريبةُ الشبَهِ من تلك القدمِ التي كانت
أثراً يحتفظ بهِ العربُ في مقامِ إبراهيمَ عليه
السلام بجوار الكعبة.. وهو أثر قدَم نبيٍّ الله
إبراهيمَ.. فقالَ الرجلُ المدلجيُّ لأصحابهِ:

ـ أنظروا.. أترون ما أرى؟!..

وتساءل عبدُ المطلب عن تهامُسِ الرجالِ من (بني مدلج) فقالوا له :

ـ يا عبدَ المطلب !.. إحتفظ بهذا الغلامِ.. فإنّا لم نَرَ قدَماً أشبهَ بالقدمِ التي في مقامِ إبراهيم منه...

ولا عجب.. فقد كان العربُ لا يزالونَ.. من أقدرِ الناسِ على معرفةِ الأقدامِ.. وتتّبعِ الأثرِ.. ومن هنا فقد لفت أنظارَ الرجالِ المدلجيينَ ما رأوا من عجائبِ صُنعِ الله في هذا الغلامِ اليتيمِ.. ولكنَّ عبدَ المطلب كان يدركُ أنَّ لولدهِ هذا شأناً عظيماً.. فكان يبالغُ في الحرصِ عليهِ.. ويحفّه بالرعايةِ والعنايةِ.. ويوصي بهِ أعمامه...

وكان من الطبيعي أن يبادلَ محمدٌ جدَّهُ

عـاطفة الحبِّ النبيـلِ . . فما أسـرعَ انجذابَ الطفلِ إلى من يحنو عليه . . وما أشدَّ تعلّقَهُ به واندفاعَهُ إليه! . .

ولما مات عبدُ المطلبِ . . أحسَّ محمدٌ ألمَ الفاجعةِ . . وعرفَ أنه فقد قلباً كبيراً كان يحنو عليهِ . . فبكاهُ بُكاءَ الحزينِ الحائرِ . . الذي لا يـدري متى يقـرُّ قـرارُهُ . . ولا مـاذا يكـونُ مصيرُه . . .

* * *

- ٢ -

فارق عبدُ المطلبِ الحياةَ.. وعُمْـرُ محمدٍ يناهزُ الثامنةَ.. وكان عندما أحسَّ بدنوّ أجلهِ قد عهدَ بكفالةِ حفيدهِ الحبيب.. إلى عمِّـه أبي طالب.. وشدَّدَ عليه في هذه الوصيةِ.. وذكّره بأنَّ عليه أن يوليَهُ من عنايتهِ ما يولي أولادَه.. لا سيما وأنَّ أمَّ (أبي طالب) و(عبد الله) والد رسولِ الله واحدةٌ.. فهو ابنُ أخيهِ وشقيقهِ عبد الله.. الذي كان أحبَّ الناسِ إلى أبيهِ وإخوتهِ جميعاً.. والذي نُكِبوا بموتهِ شابّـاً في

ريعـانِ الشباب . . بعـد افتـدائـهِ بمـائـةِ من الإبل . . رجاءَ حياتهِ وبقائه . . والعناية بابنه « محمـد » شيءٌ من الـوفـاء لـه . . وإحيـاء ذكراه . . .

كان أبو طالب هو الركنَ الأمينَ الذي آثَرَ عبدُ المطلب . . أن يؤويَ إليه يتيمَهُ الحبيبَ . . وكان هو من دونِ إخوتهِ جميعاً موضعَ الطمأنينةِ والثقةِ من نفسهِ . . فأسلم إليه أمـرَ محمدٍ . . ومات وهو مطمئنٌّ القلبِ إلى أنه أسلمَهُ إلى اليدِ الحانيةِ . . والقلب الرحيم . . .

ونهضَ أبـو طالبٍ بحقّ ابنِ أخيـهِ عـلى أكمـلِ وجهٍ . . ضمّـه إلى أولادهِ . . وقدَّمـهُ عليهِمْ . . واختصّهُ بفضلِ احترامٍ وتوقـيرٍ . . وظـلَّ أكثرَ من أربعـينَ سنةً يعـزُّ جانبـه . .

ويبسُطُ عليهِ حمايَتهُ . . ويُصادقُ ويُخاصمُ من أجلِه . . .

ولكن . . هل كانَ أبو طالبٍ يجهَلُ أمرَ محمدٍ . . ليحتاجَ إلى أن يوصيَهُ به أحدٌ ؟! . . لا . . فقد كانَ أبو طالب يشهَدُ من آياتِ الله في محمدٍ ما كانَ يشهدُه أبوه عبدُ المطلب . . . وكان يحسُّ من شأن مستقبلهِ العظيمِ . . ما كان يحسّهُ كل من يطّلعُ على شؤونهِ وأحواله . . فما هو إلا أن دعاهُ أبوهُ إلى كفالةِ محمدٍ عليه الصلاةُ والسلام . . حتى استجابَ راضيَ النفسِ قريرَ العين . . على رغمِ ما كان عليهِ من قلّةِ المالِ . . وكثرةِ العيال . . .

ولقد كان من عجيبِ ما لفتَ نظرَ أبي طالبٍ بعد كفالتهِ محمداً صلى الله عليه

وسلم .. حلولُ البركةِ في رزقهِ وطعامهِ وشرابه .. حيث كان لأبي طالب بعضُ الإبلِ .. يغدو بها إلى المرعى .. فإذا آبَ في المساء على عيالهِ .. احتلبوها .. فكانوا إذا أكلوا أو شربوا لم يشبعوا ولم يرتووا .. فإذا أكلَ معهم محمدٌ شبعوا وارتووا .. وزادَ عنهم خيرٌ كثير...

ولما أدرك أبو طالبٍ حلولَ البركةِ بابنِ أخيه .. كان إذا حضرَ طعامٌ قال لأولادِه:

ـ أنتظرُ وتنتظرونَ حتى يأتيَ محمدا! ..

فيأتي رسولُ الله (ﷺ) فيأكلُ معهم .. فيشبعون ويزيدُ منهم طعامٌ كثيرٌ. فيقول أبو طالبٍ وهو يربت على كتف محمد:

ـ إنــك لمبـاركٌ يــا بني !. . إنـك والله مبارك . . .

على أن محمداً صلى الله عليه وسلم لم يكن يشكو جوعاً ولا عطشاً . . فقد قالت حاضنتهُ (أم أيمن) التي كانت تقوم بخدمتهِ ورعـاية شؤونه :

ـ مـا رأيتُ محمداً شكـا جـوعـاً قطُّ ولا عطشاً . . وكان يغدو إذا أصبح . . فيشربُ من ماءِ زمزمَ شربةً . . فربما دعوناه للغداء فيقول : أنا شبعان . .

. . إنه حقاً مباركٌ . . وإن البركةَ لتحلُّ حيث يحِلّ . . وهذا بعضُ حفظِ الله لنبيـهِ . . فهو أبداً في كلاءتهِ . . ينبتُهُ نباتاً حسناً لما يريدُ بهِ عزَّ وجلَّ من كرامته ونبوته . . .

- ٣ -

أحبائي براعمَ الإسلام ! . .

تـذكرونَ أنَّ قـريشـاً كـانت من أعـظمِ القبائلِ العربية التي تتعاطى التجارة . . وقد كان من إكرامِ الله لأهلِ الحَرمِ . . أنّـه ردَّ عنهم كيدَ الأحباشِ الذين أرادوا هدمَ بيت الله الحرام . . وكان ذلك عامَ ولادةِ رسـولِ الله صلى الله عليه وسلم . . والذي سمي بعد ذلك (عامَ الفيلِ) . .

وبعـد حادثـةِ الفيـلِ هـذه . . استقـرّت

أوضاعُ قريشٍ . . فعاودت نشاطَها التجاريَّ . . وكانت لهم رحلتان . . فرحلةٌ في الصيفِ إلى بلادِ الشام . . ورحلةٌ في الشتاء إلى بلاد اليمنِ والحبشة . . .

وكـان الناسُ في مكـةَ يتـأهبـونَ لهـاتـينِ الرحلتينِ . . ويستعدّون للخروج فيهما بكل ما يملكون من إمكاناتٍ ماليةٍ . .

وعندما بلغَ محمدٌ صلى الله عليـه وسلم تسعَ سنينَ . . كانت الأيام تمضي بهِ قدُماً نحو الوعي بما يجري حولَهُ . . وهو يدرجُ في بيت عمهِ (أبي طالب) . . ولقد كان يأسىٰ لحالِ عمـهِ . . وكثرةِ عيـالهِ . . وقلّةِ مـالهِ . . وربمـا حدّثته نفسُهُ ـ رغمَ صِغَر سنّهِ ـ بمشاركة عمّهِ الحبيب همومَهُ ومتاعبَهُ اليومية . . .

وحينما كان الناسُ يتأهبونَ في ذلكَ العام لـرحلةِ الصيفِ إلى بلادِ الشـام . . أرادَ أبـو طالبٍ أن يجرّبَ حظه في التجارةِ. . مؤمّلاً أن يرزقَهُ الله ببركةِ محمدٍ صلى الله عليه وسلّم. . فاحتفى لهذه الرحلةِ. . وجمعَ لها كلَّ ما يملكُ من مالٍ . . وأزمع الرحيلَ مع الراحلين من قومه . . .

ورأى محمـدٌ عمَّـهُ أبـا طـالبٍ يتـأهبُ للرحيلِ . . فاستيقظت في نفسهِ فكرةُ مشاركته أعباءَ الحياة . . فجعلَ يتعلّقُ بهِ. . حتى رقَّ له قلبُ أبي طـالبٍ. . فحملَهُ معـه . . ومضى الركبُ يجتازُ الصحارِى والقفارَ في طريقهِ إلى بلاد الشام . . .

لم يكن من عادةِ التجار أن يصحبوا معهم

في رحلةٍ شاقةٍ كهذه.. أطفالاً في مثل سنِّ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم.. لكنَّ أبا طالبٍ لم يكن ليغالبَ عواطفَهُ نحو هذا اليتيمِ المباركِ.. وهو يـراهُ يتعلَّقُ بهِ.. فـأقسمَ أن يصحبَهُ معه.. ولا يفارقهُ أبداً...

ووصل الركبُ إلى (بُصـرى الشام).. فحطوا رحالَهم هناكَ ليستريحوا بِضعةَ أيامٍ قبل دخولِ الشامِ.. وكان في هذهِ البلدةِ راهبٌ على دينِ المسيح يدعى : (بَحيرا).. يُقال : إن علمَ النصرانية قد انتهى إليهِ.. فكانَ أعلمَ أهلِ زمانهِ.. وكانت له صومعةٌ هنالكَ.. لا يبرَحُها.. وكثيراً ما مرّت بهِ قـوافلُ التجـارةِ ذاهبةً إلى الشامِ أو آيبةً منها.. فـلا يَخرُجُ إليهم.. ولا يُكلِّمُ أحداً منهم...

وكان الأمرُ في هذا العامِ على غير ما ألِفَ ركبُ قريشٍ . . فإنهم فوجئوا هذه المرةَ بدعوةِ راهبِ بصرى . . إلى طعامٍ صنعَهُ لهم . . وكانت تلك أولَ مرةٍ يرونَ فيها راهبَ الصومعةِ المغلقةِ كما كانوا يسمونه . . لانشغالهِ بنفسهِ عن الناسِ جميعاً . . وكان يُقالُ : إن في هذهِ الصومعةِ كتاباً يتوارثُه الرهبانُ . . واحداً بعد آخر . . ولعل هذا الكتابَ نسخةٌ من الإنجيل الذي لم تمتدَّ إليهِ يدُ التغييرِ والتحريفِ . . مما عمَّ أكثر كتب اليهودِ والنصارى في ذلك الزمان . . .

وخرجَ بحيرا من صومعتهِ . . فأطلَّ على ركبِ قريشٍ بوجههِ المشرق . . ولحيتهِ البيضاءِ التي غطّت صدرَهُ . . وفي يدهِ عصاً يتوكأ عليها . . فقال لهم :

ـ يا معشرَ قريشٍ !.. إني قد صنعتُ لكم طعــامــاً .. وأحب أن تحضــروا كلكــم .. صغيرُكم وكبيرُكم .. وعبدُكم وحرُّكم ...

ولم يستطع أحدُ القُرَشيين إخفاءَ ما يعتملُ في نفسهِ .. فقال يخاطب راهبَ بصري :

ـ والله إنَّ لك لشأناً اليومَ يا بحيرا .. فما عهدناك تفعلُ هذا لنا .. وقد كنـا نمرُّ بـكَ كثيراً .. فما شأنُكَ اليوم ؟!..

وردّ بحيرا الراهب قائلاً بصوتهِ الخـافتِ الحاني :

ـ صدقتَ يا هذا !.. قد كان ما تقول.. ولكنكم ضيـوفُ بصرى .. وقـد أحببتُ أن أكـرمَكُم وأصنـعَ لكم طعـامـاً فتـأكلوا منه كلكـم .. هلمّوا.. هلموا يا معشر قريش!..

\- ٤ -

أحبائي براعمَ الإسلام !..

لعلكم تتهامسون بينكم متسائلين :

ـ حقاً !.. لماذا فعل راهبُ بصرى هذا..

وعهدُهم بهِ عاكفاً على عبادةِ ربهِ.. في صومعتهِ التي لم يروا بابها يوماً إلا مغلقاً عليهِ.. حتى كان ذلك يثيرُ فضولَ الناسِ إلى تشوّفِ وجهِ ذلك الراهبِ العاكفِ على العبادةِ داخل هذهِ الصومعة المهيبةِ !.. فما بالهُ اليـومَ يخرُجُ إلى

الناس . . ويدعوهم إلى طعامٍ صنعَهُ خاصـةً لهم ؟! . .

والحقُّ يا أحبّائي! . . أنَّ ذلك الراهبَ كانَ يقرأ الكتبَ المقدسة . . ونحن نعلمُ أنَّ الله عزَّ وجلَّ قد أخذَ عهداً على جميعِ الأنبياءِ الكرامِ وأقوامِهِمْ . . أن يؤمنوا بنبينا محمدٍ صـلى الله عليه وسلم . . . وكان الله تعالت حكمتُه . . قد ذكر صفاتِهِ وأماراتِ نبـوتهِ وزمـانِ ظهورهِ . . وأثبت ذلك في الكتب السماويةِ التي أنزلها على رسلهِ . . وكان كلُّ نبّيٍ يأخذ على قومهِ العهدَ أن يؤمنوا بنبينا محمدٍ (ﷺ) إذا ظهرَ . . وقد بشَّرَ بهِ المسيحُ عليه السلام . . وثبتَ ذلك في الإنجيلِ الذي أنزلَهُ الله عليهِ . . فكان الرهبانُ يتوارثونَ علمَ ذلك جيلاً بعد جيلٍ . . فلما نزلَ

ركبُ قريشٍ بقربِ صومعةِ الراهبِ (بحيرا) رأى بعضَ أماراتِ النبيِّ الذي بشَّرَ بهِ المسيحُ عيسى عليه السلامُ.. في ركبِ قريشٍ.. رأى كأنَّ غمامةً تظلُّ هذا الطفلَ الوحيدَ في الركب.. وتتبعُهُ أينما تحوّل.. لذلكَ.. فقد صنع (بحيرا) لهم الطعامَ.. ودعاهم مؤكّداً عليهم أن لا يتخلف عن حضوره أحدٌ منهم.. صغيراً كانَ أو كبيراً.. ليتأكدَ من تحقّق أماراتِ النبوةِ في هذا الطفلِ القرشيِّ عن قُربٍ...

وأقبلَ ركبُ قريشٍ لدعوةِ (بحيرا).. ولكنَّ العاداتِ العربيةِ كانت تقضي أن لا يغشى أيٌّ من الصبيانِ الصغارِ مجالسَ الرجالِ.. كما سبقَ أن حدّثتكم يا أحبّائي.. ولذلك فإنهم تركوا محمداً تحت شجرةٍ هناك..

فلما رآهم راهبُ بصرى عندَهُ .. ولم يرَ فيهم شيئاً من أماراتِ النبيِّ المنتظرِ. . قال لهم :

ـ يا معشَر قـريشٍ !.. لا يتخلّفنّ أحدٌ منكم عن طعامي ...

ـ قالوا : والله .. مـا تخلَّفَ عنك أحـدٌ ينبغي أن يأتيكَ.. إلا غلامٌ .. وهو أحدثُ القومِ سّناً ...

قال بحيرا : لا .. لا .. ادعوه فليحضُرْ هذا الطعامَ معكم !..

فقام رجلٌ من قريشٍ فقال لهم :

ـ حقاً إننا ملومون في تركِ هذا الغلامِ يا قوم !..

ثم قام إليه فاحتضنَهُ.. وجاءَ به فأجلسَهُ

مع القوم . . فلما رآهُ بحيرا . . جعل يتأملهُ . . ويمعن فيه النظر ملياً . . ويحاول أن ينظرَ إلى مواضعَ من جسدِه . . بحثاً عن أوصافِ النبيِّ المنتظرِ . . كما ذكرتها الكتبُ التي عنده . . .

وفرغَ القوم من الطعام . . فتقدّم راهبُ بصرى من رسولِ الله صلى الله عليه وسلم قائلاً له :

ـ يا غلامُ! . . أسألُك بحقِّ اللاتِ والعزّى إلّا ما أخبرتني عمّا أسألُك عنه ! . .

واللاتُ والعزّى صنمانِ من أصنامِ قريشٍ . . وإنما قال له بحيرا ذلك لأنه سمعَ قومَهُ يحلفونَ بهما . . ولكنَّ رسولَ الله التفت إلى بحيرا الراهب فقال له :

ـ لا تسألني باللّاتِ والعُـزّى . . فوالله مـا أبغضتُ شيئاً قطُّ مثلَ بغضي لهما . . .

ـ قال بحيرا : فبالله إلّا ما أخبـرتَني عما أسألُكَ عنه ! . .

ـ قال : سلني عما بدا لك ! . .

فجعلَ الراهبُ يسألُ رسولَ الله صلى الله عليـه وسلم . . عن بعض أمورهِ الخـاصةِ . . ورسولُ الله يُجيبُه . . فيوافقُ جوابُـه ما عنـد بحيـرا في الكتبِ المقدسـةِ من صفـاتِ النبي المنتظر . .

وهنا . . نظرَ بحيرا إلى ظهرِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم . . فرأى خاتمَ النبوةِ بين كتفيـه . . في موضعـهِ وصفتـهِ التي عنـده في الكتب . . فقال مخاطباً ركب قريش:

ـ من وليُّ هذا الغلام منكم أيها القوم ! . .

وتقـدم أبو طـالب فقـال : إنـه لي أيهـا الراهب . .

ـ قال : فما هي قرابتُه منك ؟! . .

ـ قال أبو طالب : إنه ابني . . .

ـ قال بحيرا : ما هو يابنكَ . . وما ينبغي لهذا الغلامِ أن يكونَ أبوهُ حياً . .

ـ قال أبو طالب : حقاً أيهـا الراهب . . فإنه ابنُ أخي . .

ـ قال بحيرا : فما شأنُ أبيه؟! . .

ـ قال : ماتَ وأمُّهُ حبلى به . .

ـ قـال بحيرا : صـدقتَ . . فارجـع بابنِ أخيـكَ هـذا إلى بلده . . واحـذر عليـه من

اليهـود. . فوالله لئن رأوْهُ. . وعَـرفوا منـه ما عرفتُ. . ليقتُلُنَّهُ. . فإن لابنِ أخيك هذا شأناً عظيماً . . فأسرع به إلى بلاده ! . . .

وراءَ ذلـك أبا طـالبٍ أولَ الأمرِ. . ثمّ طافت برأسهِ ذكرياتٌ . . حملت إليهِ صوراً شتى من حياةِ محمدٍ صلى الله عليه وسلم . . فأدرك معنى البَركةِ التي كانت تحلُّ حيثُ حلَّ . . كما أدرك معنى هذا السموِّ الخُلقي الذي فُطِرَ عليه محمـد . . من دون صبيانِ قـريشٍ جميعاً . . أجـل لقـد طـافت بـرأس أبي طـالبٍ كـلُّ الذكريات . . وعرفَ منذُ ذلك اليـومِ بعضَ السرِّ العظيمِ فيما كان يبدو عليهِ من أماراتِ الإنسانيةِ الساميةِ المتميزة . . .

وأمسكَ أبو طالبٍ بيدِ محمدٍ. . وخرجَ بهِ

سريعاً إلى دمشقَ .. حيث فـرغَ من تجارتـهِ بأقصرِ وقتٍ ممكنٍ .. ومضى يحثُّ السيرَ إلى مكةَ البلدِ الحرام . . .

* * *

- ٥ -

أحبائي براعمَ الإسلام ! . .

أعلمُ أنّ حديثَ راهبِ بُصرى . . قد أثار في نفوسِ بعضِكم تساؤلاتٍ كثيرة:

- ما هي تلكَ الصفاتُ التي وصفَ الله بها الرسولَ المنتظرَ . . خاتمَ الأنبياءِ والمرسلين . . وأثبتها في الكتب السماويةِ التي نزلت قبل القرآن ؟! . .

- وهل ما تزال هذه الصفاتُ مثبتةً في

الأناجيل التي بين أيدي النصارى اليوم ؟! . .
وفي التوراة التي بين أيدي اليهود في عصرنا هذا ؟! . .

ـ ثم لماذا حذّر الراهبُ أبا طالبٍ من كيدِ اليهودِ برسولِ الله صلى الله عليه وسلم ؟! . .

هـذه بعضُ التسـاؤلاتِ التي أثـارهـا في نفوسِ بعضِكم ـ يا أحبائي ـ حديثُ بحيرا . . راهبِ بصرى المؤمن . . وإني محدّثكم يا براعمَ الإسـلام عن ذلـك كله . . فـاحفـظوا هــذا جيداً . . لأنكم ربما تُسألونَ يوماً ما عنه . . ولا يحسُنُ بكم وأنتم تنتمونَ إلى دعوةِ الإسلام . . أن تجـهلوا حقـائقَ مثـلَ هــذهِ عن نـبي الإسلام ! . . أليس كذلك يا أحبائي ؟! . .

أمـا الأماراتُ التي أثـارت فضولَ راهبِ

بُصـرى أولَ الأمـر . . فهي عبـارة عن تلك الغمامةِ التي كانت تُظِلُّ محمداً صلى الله عليه وسلم . . ولا شكَّ أن هذا الأمر مثيرٌ لفضولِ راهبٍ مؤمنٍ قد قرأ الكتبَ السماويةَ . . وعرفَ أنَّ النبيَّ المنتظرَ . . سيخرجُ من العرب . . من ذريةِ نبي الله إسماعيلَ عليه السلام . . ولعل راهبَ بصرى كان يرقبُ قوافـلَ العربِ كلما حلّوا بتلك البلدةِ . . لعلمـهِ بأن وقت ذلـك النبيّ قد اقتربَ . . فلما رأى الغمامةَ على رأسِ محمدٍ تظلُّهُ من دونِ الآخـرينَ . . دعاهم إلى مائدتهِ . . لينظر فيه عن قربٍ . . ويتعرَّف على بقية أوصافه . . .

وقد وافقت الأوصافُ التي رآها بعد ذلك في محمدٍ . . ما كان قد قرأ من أوصاف النبيِّ

المرتقب.. من مثل كونه يولدُ يتيماً.. ويكونُ خاتم النبوة بين كتفيهِ.. ويخرجُ من ذرية إسماعيل.. ويكونُ معصوماً من الشرك والضلالِ منذ صغره.. فقد رأينا كيف كان ردُّ محمدٍ (ﷺ) على الراهب حين استحلفَهُ بالأصنام...

وهذه الأوصافُ كانت مثبتةً في كتب اليهودِ والنصارى قبل أن يحرّفوها ويبدّلوها... ويقتصروا على بعضِها.. ويمنعوا قراءةَ بعضِها الآخر.. وإنما حرّفوا وبدّلوا في كتبهِمْ لتوافقَ أهواءهم.. ولكن لا شك أن اليهودَ والنصارى كانوا يتمنون أن يكون خاتم الأنبياء منهم.. أي من بني إسرائيل.. فلما حكّموا أهواءهم طمسوا أوصافَ رسولِ الله.. عن أتباعهِمْ

حسَداً أن يكون العربُ هم أصحابَ هذا الفضلِ من دونهمْ. . ولكن بقي بعضُ الأحبار والرهبانِ المؤمنين محتفظينَ بنُسخٍ من التوراةِ والإنجيل. . يتوارثونها جيلاً بعد جيل في سريةٍ. . خفيةً عن الرهبانِ والأحبار المحرِّفينَ الضالّين. . وكان هؤلاء المؤمنون قلّةً ومنهم (بحيرا) راهب بصرى هذا. . .

ومع ذلك فإنَّ الله قد كشفَ ضلالَ المحرِّفينَ وكذبهم على أتباعهم . . حيثُ عُثِر منذُ ثلاثمئة سنة على نسخةٍ من الإنجيلِ المسمى (إنجيل برنابا). . والذي وردت فيه نصوصٌ صريحةٌ على بشارةِ عيسى عليه السلامُ بنبينا محمدٍ صلى الله عليه وسلم. . باسمهِ الصريح وأوصافه. . .

وإنجيلُ برنابا هذا . . هو أحدُ الأناجيل التي صدر عن كرسيِّ البابويـةِ منعُهُ وتحـريم قراءته . . وذلـك منذ مئـاتِ السنين. . وقـد حاول النصارى حرق نسخهِ أو إخفـاءها . . حتى لا يصلَ شيء منها إلى أيدي أتباعِهِمْ. . وفي بـداية القـرنِ الثـامنَ عشـرَ الميـلادي. . اكتشفَ وزيرُ ملكِ (بروسيا) النسخةَ الإيطاليةَ من إنجيل برنابا . . والتي كانت مخبأةً في خزانةِ العاصمةِ البابوية. . فنشرهـا بعد تـرجمتها إلى اللغة الإنجليزيةِ. . وتُرجم بعد ذلك إلى اللغة العربية. .

وقد أثار كشفُ هذا الإنجيل ضجةً عظيمةً في أوربـا . . حتى قـال العـالم الانجليـزي (تولاند) حينما اطلع عليه : « سأقول : على النصرانية السلام بعد اليوم » . .

والـذي يهمنـا مـن هـذا الإنـجيـل كمسلمين . . أنه يثبت صراحةً نبوةَ محمدٍ صلى الله عليه وسلم . . حتى إنّ فيه النصَّ القرآنيَّ الصريح . . وذلك قولُ الله عزَّ وجلَّ على لسان المسيحِ عيسى عليه السلام :

﴿ ومبشراً برسولٍ يأتي من بعـدي اسمه أحمد ﴾ . .

وهذا النص نقله عالم مسلم عن رحـالة إنجليزي . . ذكر أنه قرأهُ في نسخة من إنجيل برنابا مكتوبة بالخط الحميري . . قبل بعثة النبي صـلى الله عليه وسلم . . وأن هـذه النسخـة محفوظة في دار الكتب البابوبـة في الفاتيكـان بإيطاليا . .

* * *

وندعُ النصارى والأناجيل.. ونـرجعُ إلى حديث راهب بصرى.. لنحاول التعرُّفَ على دلالة قوله لإبي طالب: إحذر على ابن أخيكَ هذا من اليهودِ.. فما أمرُ اليهود يا ترى؟!

الحقُّ يا أحبائي.. أنَّ اليهودَ كانوا يعلمونَ بقرب ظهور محمدٍ صلى الله عليه وسلم.. حتى إن في بعض الكتب الإسلاميةِ رواياتٍ تفيدُ أنَّ بعضَ اليهودِ رأى يوم مولدِ النبي (ﷺ) نجماً سطع في السماء.. ولم يكونوا يرونَهُ.. فخرجَ يصرخُ في بني قومه:

ـ طلع الليلة نجمُ أحمد.. لقد سطع الليلةَ نجمُ أحمد...

منذ ذلكَ اليوم.. واليهود يتتبعونَ آثاره (ﷺ).. ويبحثونَ عنه ليقتلوه.. حتى لا

تنكشف للعـامـة حيلتُهم بتحـريفِ كتبهم . .
وطمسِ أوصـاف النبي المنتظر. . فـإن علماء
اليهـود أوهموا أتبـاعهم أنه سيكـون من ذرية
إسـرائيل . . مـع أن نصوصَ التـوراةِ كـانت
صريحةً في أنه من ذرية إسماعيل . . وأنه يخرج
في أرض العرب. . ويهاجرُ إلى (يثرب) التي
عرفت بعد ذلك باسم (المدينة المنورة). . . ولم
يكتفِ اليهودُ إذن بتحريفِ الكتب التي أنزلها
الله عليهم . . بل إنهم أرادوا قتلَ رسولِ الله
حسَداً من عند أنفسهم . . من بعدما تبين لهم
الحق . . كما ذكر القرآن الكريم . . .

وحتى لـو رجعنـا إلى حـديث (بحيـرا)
الـراهـب . . فـإننـا نجـدُ في بعض الكتب
الإسلامية الموثوقة . . رواياتٍ تفيـدُ أنَّ بعضَ

اليهودِ الذين كانوا يتتبعون أخبار النبيِّ المنتظَرِ وآثارَهُ . . قد قصدوا (بحيرا) الراهبَ يوم كان عنده ركبُ قريشٍ . . فقال لهم بحيرا:

ـ ما جاء بكم ؟! . .

ـ قالوا : سمعنا أن النبيِّ المنتظر يخرجُ في هذا الشهر من بلادِ العرب. . .

ـ قال بحيرا : أفـرأيتم أمراً أراد الله أن يقضيَهُ. . هل يستطيع أحدٌ من الناس ردّه؟!

ـ قالوا : لا . .

ـ قال : فانصرِفوا راشدين . . .

وهكـذا أخفى راهبُ بصـرى عنهم أمـرَ محمدٍ مخافةَ أن ينالوهُ بسوءٍ. . ولكن صدقَ الله

عز وجل : ﴿**يريدون ليطفئوا نورَ الله بأفواههم والله متمٌّ نورهِ ولو كره الكافرون**﴾ . .

ومع أنَّ اليهودَ قد حفَلَ تاريخُهم بالمخازي . . وأثبتَ القرآنُ الكريمُ عنهم أنهم قتلوا بعضَ أنبيائهم . . واستحلّوا ما حرّمَ الله عزَّ وجلَّ . . فقد كان محمدٌ في حفظِ الله وكلاءتهِ . . فلم يصِلوا إليهِ بسوءٍ أو مكروهٍ . . . ولنا في هذا أحاديثُ تأتي في أماكنها إن شاء الله . .

. . وشبَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم . . في كفالةِ عمهِ (أبي طالبٍ) . . والله تعالى يكلؤهُ ويحفظُهُ ويحوطُهُ من أدرانِ الجاهليةِ . . لما يريدُ به من كرامتهِ ورسالته . . . فهو أبداً عزوفٌ عن اللهو والعبثِ والمجونِ . .

مما يغرق فيه أمثالهُ من الشباب.. ولكنَّ محمداً صلى الله عليه وسلم كان بين الناسِ .. وكأنه كوكبٌ إنساني .. يتوقد أدباً ويفيضُ صلاحاً واستقامةً ونبلاً.. حتى عُرِفَ بين قومهِ جميعاً بالصادقِ الأمين .. ولا عجب .. فإنهم لم يُجرِّبوا عليهِ كذباً.. طيلةَ حياتهِ .. وكان لهذا أثرُهُ في تكوين ملامحِ شخصيةِ النبيِّ الكريم صلى الله عليه وسلم . . .

وهذا موضوعُ حديثنا في القصةِ المقبلةِ من هذه السيرةِ الطيبةِ إن شاء الله تعالى. . .

* * *

إقـــرأ

في الحلقة التالية في السيرة

الصادق الأمين

[illegible] ... لها ... [illegible]

قصص للأطفال ... ذلك للأطفال ... أحببنا أن نتابع معكم هذا الخط القصصي المشوق ... رغبنا إلى الأستاذ الكاتب أن يصوغ لكم سيرة النبي الكريم (ﷺ) في قصص شيقة ... بما عهدتموه عنده من أسلوب سلس وجذاب ... يوفر اللغة والفائدة معاً

ويسرنا أن نقدم إليكم اليوم ... هذه السلسلة القصصية الجديدة ... لتكون هديتنا إليكم بمناسبة القرن الهجري الخامس عشر

١ - يحملهم كعصف مأكول
٢ - مولد النور
٣ - في مضارب بني سعد
٤ - على مائدة بحيرا
٥ - الصادق الأمين
٦ - غار حراء
٧ - دار الأرقم

دار ومكتبة الهلال
ص.ب ١٥/٥٠٠٣ - بيروت